العبادة (السُّجُودُ) فِي التَّرْبِيَة

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: دانيال ٣: رؤيا ١٤: ٦-١٢؛ مزمور ٧٨: ١-١٧؛ يوحنا ٤: ٧-٢٦؛ ١أخبار الأيام ١٦: ١-٣٦؛ مرقس ٧: ١-١٣.

آية الحفظ: «هَبُوا الرَّبَّ مَجْدَ اسْمِهِ. احْمِلُوا هَدَايَا وَتَعَالَوْا إِلَى أَمَامِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ» (١ أخبار الأيام ١٦: ٢٩).

العبادة هي جزء مِن الممارسات البشرية، هي جزء مِن الطبيعة الإنسانية، حتى الطبيعة الإنسانية الساقطة. لا شك أننا، بدافع الحرية الممنوحة لنا مِن الله، قد خُلقنا لنعبده، وذلك لأننا نحبه ونعرف أنّه مستحق للعبادة والسجود. لا بد أنَّ مِثل تلك العبادة كانت سهلة جدًّا في عالَم ما قبل السقوط، حيث كان بمقدور البشر الالتقاء بالله وجهًا لوجه في خليقة لم تكن مشوّهة بالخطية والموت والدمار – خليقة، نحن الذين لا نعرف سوى العالَم الساقط، بالكاد يمكننا تصوّرها.

اليوم، بطبيعة الحال، وعلى الرغم مِن أنَّ الحاجة الفطرية للعبادة والسجود لله لا تزال متواجدة في داخلنا، إلا أنّها مِثل كل شيء آخر في هذا العالَم قد تمَّ تحريفها وتشويهها بسبب الخطية. وهو ما يعني، مِن بين أمور أخرى، أننا ككائنات مُتعبدة يمكن أن ينتهي بنا المطاف إلى عبادة ما هو زائف، أو ربما ينتهي بنا المطاف ونحن لا نعبد الرَّب بالطريقة التي مِن المفترض أنْ نعبده بها (انظر، على سبيل المثال، مرقس ٧: ١-١٣؛ إرميا ٧: ٤).

وبالتالي، لأنَّ العبادة جوهرية وأساسية جدًّا بالنسبة للاختبار المسيحي، فإنّ التَّرْبِيَة الْمَسِيحِيَّة يجب أنْ تتطرق إلى مَسألة العبادة والسّجود، موضوع درس هذا الأسبوع.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السَّبْت القادم الموافق ١٤تشرين الثاني (نوفمبر).

الأحد

٨ تشرين الثاني (نوفمبر)

كلنا نعبد شيئًا ما

يوجد شيء فينا – شيء بلا شك، كان منسوجًا بداخلنا من قِبَل الله، ولكن وكما هو الحال مع كل شيء آخر، أصبح مُشوّهًا بالخطية، هذا الشيء يتوق إلى ممارسة السّجود والعبادة. مِن الواضح إننا في البداية كُنّا نعبد الكائن الوحيد المستحق للعبادة، ربنا وخالقنا. لكن منذ السقوط تغيَّر كلّ هذا، بل وتغيّر كثيرًا.

ولكن نَعم، نحن جميعًا نعبد شيئًا ما، كائن ما، أيًّا كان. وهذا يساعد على تفسير السبب الذي يجعل البشر، على مرّ التاريخ وحتى اليوم، يمارسون العبادة. في مصر القديمة، تعبَّد بعض الناس لفرعون؛ في أزمنة أخرى، وفي أراضٍ أخرى، تعبّد الناس لتماثيل السَّمك وَلآلِهَةٍ مُتَعَدِّدَةِ الرُّؤوس، وغيرها من الآلهة المزعومة الأخرى. بعض الناس عبدوا الشَّمس والقمرَ والنجومَ.

اليوم، معظم الناس أصبحوا متطوّرين جدًّا بحيث لا يسجدون أمام تمثال لضفدع، أو ما شابه، (ولكنهم، على ما يبدو، لا يجدون غضاضة في السِّجود أمام تمثالٍ لمريم)، ولكن هذا لا يعني أنَّ البشر، حتى البشر العلمانيين، لا يعبدون شيئًا ما: المال، السلطة، ممارسة الجنس، أنفسهم، نجوم الرّوك، الممثلين أو السياسيين. فإنَّ أيًّا كان ما نحبه أكثر، أيًّا كان ما نضع تركيزنا عليه أكثر، أيًّا كان ما نعيش مِن أجله، فهذا هو ما نعبده. وقد حذَّرنا الكَاتِب العلماني «ديفيد فوستر ولاس» مِن أنّه إذا تعبَّدنا للشيء الخطأ فإن هذا الشيء «سوف يأكلنا أحياءً.»

ماذا تخبرنا القصة الواردة في الأصحاح الثالث مِن سِفْر دانيال عن أهمية العبادة الحقيقية؟

من الواضح أنَّ الفتية اليهود الثلاثة قد أخذوا الوصية الثانية (خروج ٢٠: ٤-٦) بالجدّيّة التي قصد اللهُ أنْ تؤخذ بها. فعلى كل حال، هي جزء مِن الوصايا العشر، الوصايا التي تنهى عن القتل والسرقة، وما إلى ذلك. إنَّ العبادة، العبادة الصحيحة، هي ذات أهمية بالغة لدرجة أنها ستصبح أساسية بالنسبة للأمور المتعلقة بنهاية الأيام، قبل المجيء الثاني للمسيح. وهكذا، فإنّ التَّرْبِيَة الْمَسِيحِيَّة تحتاج إلى أنْ تشتمل على كافَّة جوانب العبادة: ما هي العبادة، كيف نمارسها، لماذا هي مهمة، ومَن ذا الذي نعبده؟

اقرأ رؤيا ١٤: ٦-١٢. ماذا تعلّمنا هذه الآيات الكتابية حول مدى ما ستكون عليه مسالة العبادة مِن أهمية في الضائقة الأخيرة، قبل عودة يسوع؟

ويعلنون هذه الأمور لأبنائهم

كانت المزامير في العَهد القديم تقوم بدور مهِّم في الحياة الدينية لبني إسرائيل قديمًا. كانت تلك المزامير تُتلى وتُرنَّم بمصاحبة آلات موسيقية. في كثير من الأحيان، كانت المزاميرُ تُنْشَدُ خلال أوقات العبادة، خاصة العبادة المشتركة التي كانت في العهد القديم أساسية لتعريف الناس بكيفية العبادة والسجود بشكل عام. كانت إسرائيل قديمًا تعمل كمجتمع، وكمجتمع كانوا يتعبدون معًا.

المزامير هي في الأساس عبارة عن أشعار، ترانيم لتسبيح الرّب. الكلمة العبرية للمزامير هي «تيهيلّم» وتعنى «تراتيل التسبيح.» وعندما نترنّم بتسابيح الحمد لله، فإنَّ نفوسنا تُصبح مُهيأة لعبادة الرَّب بكلِّ وجودنا.

اقرأ مزمور ٧٨: ١-١٧. ما هي الرسالة الأساسية هنا، وكيف تتناغم مع مسألة التَّرْبيَة والعبادة بشكل عام؟

هناك نقطة معينة حول رسالة المزمور ٧٨. في الآية الثانية، يذكر آساف كيف سيذيع «أَلْغَازًا مُنْذُ الْقِدَمِ.» كلمة « أَلْغَازًا» لا تعني «نذير سوء» وإنما بالأحرى تعني غامض أو غابر، كما يمكن أن يصبح عليه التاريخ عندما تتوارى أحداثه في الماضي أكثر فأكثر. في ترجمات أخرى، الألغاز يُشار إليها باعتبارها «الأسرار» أو «الحقائق القديمة الجميلة». النقطة المُراد التأكيد عليها هنا هي إنَّه بالإضافة إلى كل شيء آخر كان يتضمنه التَّعْلِيم في إسرائيل قديمًا، فإنَّه كان يتضمّن تعليم الأطفال القصص المتعلقة بتعليمات وتعاملات الرّب مع الأمة اليهودية.

انظر مزمور ٧٨: ٦-١٧. ما هي الدروس المحددة التي كان اليهود يعلِّمونها لأطفالهم؟ ماذا كان الهدف النهائي من هذه التعاليم؟

كان من بين أهداف التَّعْلِيم، كما يُرى في الآيات الكتابية أعلاه، هو أنْ يَتَعَلَّمَ الْأَطْفَالُ الثِّقة فِي اللهِ وحِفْظِ وصاياه. كيف يُمكن لفقرة كتابية كرؤيا ١٤: ١٢ أنْ تعكس نفس الفكرة لنا اليوم؟

بالروح والحق

إحدى أروع القصص في العهد الجديد حول كيف تعامل يسوع مع النفوس المنكسرة نجدها في قصة يسوع والمرأة التي عند البئر.

اقرأ يوحنا ٤: ٧-٢٦. ماذا قال يسوع للمرأة حول العبادة؟ بداية، كيف استهل يسوع والمرأة الحديث عن موضوع العبادة؟

على الرغم مِن أنّها حاولت تغيير الموضوع مِن خلال الحديث عن العبادة، استخدم يسوع أسلوبها لإطلاعنا على بعض الحقائق الأساسية حول العبادة وحول ما تنطوي عليه. ربما الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لأهدافنا المباشرة من درس هذا الأسبوع، هو ما قاله يسوع في يوحنا ٤: ٢٤: «اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا.»

العبادة الحقيقية للرب يجب أن تكون «بالروح». معنى هذا أنها يجب أن تنبع عن محبتنا لله، عن اختبار معرفتنا له بصفة شخصية. «إنما الديانة التي تأتينا من الله هي وحدها التي ترشدنا إليه. فلكي نخدمه خدمة مُرضية ينبغي لنا أن نُولد مِن روح الله. هذا يطهّر القلب ويجدد الذهن واهبًا إيانا قدرة جديدة على معرفة الله ومحبته ويجعلنا نطيع كل مطاليب الله بمحض اختيارنا. هذا هو السجود الحقيقي وهو ثمرة عمل الروح القدس» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ١٧٢).

وفي الوقت نفسه، يجب أنْ تكون العبادة «بالحق.» يجب أنْ يكون لدينا بعض المعرفة الصحيحة عن الله، وعن طبيعته وصفاته، وعمَّا يتطلبه مِنَّا. وبعبارة أخرى، فإنَّ المعتقداتَ متضمنةٌ في العبادة أيضًا. (كم هو مفيد، على سبيل المثال، أنْ نعرف أنّنا نعبد اللهَ الذي لا يَحرِق الناس في الجحيم إلى الأبد.)

وبالتالي، نحن نرى هنا عنصرين متضمنين في العبادة: الاختبار الذي يأتي من معرفة وإطاعة الله، والحقائق الموضوعية المعلنة لنا عن الله. فإنّ الروح بدون الحق يمكن أن يؤدى إلى عاطفة ضحلة مبنية على الأحاسيس المتقلبة أكثر مِن أنْ تكون مبنية على أي شيء آخر. وعلى النقيض مِن ذلك، فإنّ الحق دون الروح يمكن أن يؤدي إلى شكليات هامدة لا حياة فيها. ولهذا نحن بحاجة إلى الأمرَين.

كيف يمكنك أنْ تسعى إلى تعليم شخص ما أنْ يتعبّد «بالروح والحق»؟ ما هي الحالات التي قد يكون الشخص فيها بحاجة إلى التركيز على أحدهما أكثر مِن الآخر؟

فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ

اقرأ ١أخبار الأيام ١٦: ١-٣٦. حاول أن تتصور المشهد. هل تتصوره مهيبًا ورهيبًا أَمْ احتفاليًّا ومُفْرِحًا؟ بأي طريقة يمكن أن يكون مزيجًا من الاثنين؟ ما الذي يمكن أن نتعلمه من هذا المشهد عن العبادة وعن كيف ينبغي أن نُعَلِّم، بل ونختبر العبادة؟

كان مكان العبادة هو خيمة الاجتماع، حيث كان الله يسكن مع إسرائيل قديمًا، وحيث أُعلن لهم تدبير الفداء. لذلك، يجب أنْ يكون يسوع وتدبير الفداء هما الأمرين الرئيسيين لعبادتنا ولتعاليمنا المتعلقة بالعبادة. فإنَّه كان يتم التنبؤ عنهما والإشارة إليهما في خدمات خيمة الاجتماع. لقد فعل الله لأجلنا الكثير الذي يجعله مستحقًا للسجود والعبادة، لكنَّ أهمَّ ما قدَّمه اللهُ لنا ويستحق لأجله العبادة والسَّجود هو الرجاء في الحياة الأبدية من خلال موت يسوع الكفاري على الصليب نيابة عنَّا.

لاحظ أيضًا التَّوجُّه «الكرازي» للفقرة الكتابية: كان ينبغي للعالم أجمع أنْ يعرف عن الله، إله إسرائيل.

انظر ١ أخبار الأيام ١٦: ٢٩ «هَبُوا الرَّبَّ مَجْدَ اسْمِهِ. احْمِلُوا هَدَايَا وَتَعَالَوْا إِلَى أَمَامِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ.» جمال القداسة؟ ما الذي قد يعنيه هذا؟

بداية، فكّر في مدى بشاعة الخطية وما تشكّله مِن أذى ومذلة. أيضًا، من الصعب بالنسبة لنا الآن أن نتصور مدى ما كانت عليه ممارسات العبادة من رداءة وقبح ومهانة في الأمم المحيطة بإسرائيل قديمًا. وهي ممارسات اشتملت، من بين أمور كثيرة، على تقديم الأطفال ذبائح للآلهة. ولا شك في أن هذه الممارسات كانت تعكس طبيعة ما كان عليه الأشخاص الذين يمارسونها.

وعلى النقيض من ذلك، فإنه كان يجب على بني إسرائيل قديمًا أنْ يكونوا أمّة مقدّسة، منفصلين عن العادات الشريرة المحيطة بهم. كان يجب عليهم أنْ يكونوا مقدسين في قلوبهم وعقولهم؛ هذا ما أعطى عبادتهم معنى وزِينَةً أمام الله. مرارًا وتكرارًا، تكلّم أنبياءُ العهد القديم ضِدَّ الناس الذين كانوا يعبدون الرّب، في حين كانوا منخرطين في الفساد، وكانت قلوبهم بعيدة عنه.

الوثنية في التَّعْلِيم

كانت إسرائيل قديمًا مُحاطة بأناس متدينين جدًّا. أناسٌ مكرَّسون جدًّا لعبادة واسترضاء آلهتهم لدرجة أنهم كانوا يقدّمون أطفالهم إليهم كذبائح. هذا تكريس، أليس كذلك؟

وبالتالي، فإنَّ العبادة، العبادة الحقيقة لله، الإله الحقيقي، كانت جزءًا مهمًّا في حماية العبرانيين مِن الانغماس في الوثنية والعبادة الزائفة المحيطة بهم. ومع ذلك، وعلى الرغم مِن كل التحذيرات، فقد سقطوا في الممارسات الوثنية التي كان قد تم تحذيرهم منها على وجه التحديد.

ماذا عنَّا نحن اليوم؟ لماذا تُعَدّ عبادتنا لله، الإله الحقيقي، مع الوضع في الاعتبار كل ما فعله من أجلنا، مُهمة جدًّا، وخاصة في ظلِّ أخطار الوثنية الحديثة؟

اقرأ مرقس ٧: ١-١٣. ما هو المبدأ الذي نجده في الآيات ٧-٩ والذي يمكن تطبيقه اليوم في سياق التَّرْبيَة الْمَسِيحِيَّة، لحمايتنا مِن خطر التعاليم الزائفة المأخوذة مِن العالم، والتي يمكن أن تؤثّر سَلبًا على إيماننا؟

إنّ العديد من الأفكار الذهنية في العالم اليوم تستند إلى وجهة النظر الخاصة بالمذهب الطبيعي ونظرته للواقع. فالعديد مِن المواد التي يتمّ تدريسها في المدارس اليوم يتمّ تناولها مِن هذا المنظور، والذي غالبًا ما يعني أنّ ما يُدرَّس سيكون متناقضًا مع الكِتَاب الْمُقَدَّس. يمكننا أيضًا تأليه العقول البارعة للفلاسفة والعلماء وعلماء الرياضيات الذين قاموا ببلورة هذه الأفكار. المشكلة هي أنَّ هذه الأفكار يمكن لها، في كثير من الأحيان، أنْ تتعارض مع الكِتَاب الْمُقَدَّس. ولكن نظرًا لأنَّه يتمَّ تعليم هذه الأفكار حاليًّا ويُعْتَقَد أنها صحيحة، فإنَّ الناس يحاولون دمجها في التَّرْبيَة الْمَسِيحِيَّة. ومع ذلك، فإنَّ السبيل الوحيد لدمج هذه الأفكار هو المساومة على الإيمان المسيحي، الأمر الذي غالبًا ما يعني محاولة تَحْوِير وتشويه محتوى الأسفار المقدَّسة من أجل محاولة جعل الكِتَاب الْمُقَدَّس يتماشى مع الأفكار الراهنة.

ما هي بعض المعتقدات الشائعة في الوقت الراهن التي تتعارض مع الكِتَاب الْمُقَدَّس، وكيف يمكننا ككنيسة حماية أنفسنا من دمجها في نظامنا التَّعْلِيمي الخاص؟

الجمعة

١٣ تشرين الثاني (نوفمبر)

لمزيد مِن الدرس: « ‘اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ’(إرميا ١٧: ٩). إنَّ علماء الدّين ليسوا على استعداد لفحص أنفسهم عن كثب ليروا ما إذا كانوا في الإيمان، وإنها لحقيقة مخيفة أنَّ الكثيرين منهم يستندون إلى رجاء زائف. البعض يعتمدون على اختبار قديم كان لهم منذ سنوات؛ لكن عندما يصل الأمر إلى الوقت الذي يتطلب فحصًا للقلب، عندما ينبغي أن يكون لدى الكلّ اختبار يومي مع الله، لا يكون لديهم شيئًا يعلنونه. يبدو أنهم يعتقدون أن اعترافهم بالإيمان سيخلّصهم. عندما يتم كبح الخطايا التي يكرهها الله، يأتي يسوع ويتعشى معك وأنت معه. عندها ستحصل على قوة إلهية مِن يسوع، وسوف تنمو فيه، وتكون قادرًا على أنْ تقول بانتصار مُقدّس، مبارك الله الذي يمنحنا النّصرة من خلال يسوع المسيح. سيكون أكثر إرضاءً للرّب لو أنَّ الفاترين في إعلان إيمانهم لم ينادوا باسم الرّب مِن الأساس. إنَّهم عبءٌ متواصلٌ على مَنْ يتبعون يسوع بإخلاص. إنَّهم حجر عثرة لغير المؤمنين، والملائكة الأشرار يبتهجون بهم. ومن خلال طرقهم الملتوية يهينون ملائكة الله. إنَّ أمثال هؤلاء هم لعنة للعمل في الداخل والخارج. إنهم يقتربون من الله بشفاههم بينما قلوبهم بعيدة عنه» (روح النبوة، سبريتشوال غيفتس، مجلد ٢، صفحة ٢٢٧).

أسئلة للنقاش

١. مِن خلال قراءتنا لمرقس ٧: ١-١٣، عرفنا أنَّ العبادة الزائفة هي معضلة متعلقة بالقلب في المقام الأول. فإنّ الله لا يكترث إلى عبادتنا له بشفاهنا ما لم تنبع هذه العبادة مِن قلوبنا. لماذا يُعَدُّ الإنجيل وقصة موت يسوع نيابة عنَّا هما أقوى وسيلة لفتح القلوب لمحبة الله بإخلاص؟

٢. تمعّن أكثر في فكرة عبادة الله «بالروح والحق». هل من الممكن القيام بأحدهما وليس الآخر، أمْ أن العبادة الحقيقية تتطلب الأمرين معًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا؟

٣. نعم، تحتاج قلوبنا إلى أن تكون مستقيمة من أجل أن تعبد الله بالحقّ، ولكن ماذا يعني ذلك؟ هل عليك أن تنتظر حتى تكون متصلاً تمامًا بالله، وأن تكون حياتك في أحسن حال، قبل أن تتمكن مِن عبادته؟ من ناحية أخرى، كيف يمكن للعبادة الحقيقة أنْ تساعد في جعل قلبك مُطيعًا لله؟